الفارس المخلص من العقم والقحط، عقم الوجود وقحط التربة، ليس إلا تعبيراً عن ثقل هذه الكآبة وحاجتها الشديدة إلى التخلص من التوتر القابض للنفس. أما صورة الليل الذي يلف الأشياء فهي إشارة صريحة إلى الاستبهام والحيرة والتيه الذي تعانيه. ومن الواضح البيِّن في ذاته أن صورتها في القيود هي توكيد للإحساس بالاحتجاز والاحتباس الضاغط على روحها من الداخل.

ما جداء هذا كله؟

إن الشاعرة تمثل أزمة يمكن تسميتها سوء التكيف، ويتمثل جوهر هذه الأزمة بتعرقل التكامل بالآخرين، وهو تكامل لا يتحدد بالحيازة وحدها، بل إنه ليفيض عن تخومها ليغمر فسحة يكون فيها الفرد ممتلكاً من قبل الآخر. فما تبغي الشاعرة تحقيقه فعلاً هو أن تمارس مع الآخر صلة أخذ وعطاء متبادلين، فالنفس، دواماً، دائرية، بكل قطع وتوكيد.

بيد أن تحديد الأزمة على هذا النحو وكفى لا يمكن أن يكون مقنعاً، فالفارس المنقذ المتواتر الصورة يؤكد أن حالة التفاصل الروحي الأعمق جزئية من جزئيات الحالة المعقدة المؤلفة من عدة طبقات اضطرابية مركبة ومتخالطة. ولقد عبر هذا التفاصل الروحي عن محتواه من خلال العنصر الأساسي في هذه الأزمة، أعني الشعور بالوحدة. وما من شيء يؤكد هذا الزعم أكثر من قولها:

«وحيداً نظل، ولو حضنتك مئات النساء».

ولعل هذا الشعور بالوحدة الذي عانت منه الشاعرة في إبان مرحلتها الشعرية الأولى، والذي ظل يرافقها حتى مجموعتها السادسة، «على قمة الدنيا وحيداً»، كما توضح القصيدة الأولى من هذه المجموعة، لعل هذا الشعور الذي كان، ويبدو أنه لا يزال، الموضوع الأثير لديها بين كافة موضوعاتها الشعرية، لعله ينبثق عن تثبت على مرحلة طفلية مبكرة لسنا نعرف عنها شيئاً. ولهذا نلمس، لدى قراءة شعرها الأول، أن ما تحتاج إليه هو الحنان الأصيل الصادق والاستدفاء بالآخرين. وعلى ضوء هذا التثبت الطفلي الذي يبتغي، دوماً، تكرار الحالة التي عاشها المرء في غضون سنوات الطفولة الأولى، نملك أن نفسر صورة الحبيب المنقذ من الكآبة، هذه الصورة المتواترة في شعرها الأول بشكل ملحوظ. ولعل تحرير رمزية هذه الصورة أن يكشف عن أنها ليست سوى الجهد النفسي الذي تبذله الشاعرة بذلاً دفاعياً بغية الخلاص من الحال المرهقة التي تستحوذ على وجدانها وأعماقها في آن معاً.

ثم دعنا، في بحثنا عن المضامين الخفية لشعرها، نلتفت إلى ظاهرة أخرى بينة بذاتها، عنيت ظاهرة الخوف التي تتواتر، دواماً، في نتاجها الأول. فلدى تمحيص علل هذا الخوف الملازم لها لا تسعفنا القصائد على تبين بواعث خارجية موضوعية يمكن لها أن تسوغ هذا الخوف بكل وضوح. فهي تخشى الموت بالدرجة الأولى، وتخشى المجهول، وتتوقع حدوث شرور مفاجئة لا تملك هي نفسها أن تقدم لها تعليلاً منطقياً مُرضياً.